

المجلد: 07 / العدد: 02 / ديسمبر (2023)، ص.ص. 64-75

السيمائية وقد الشعر في المدونة النقدية الجزائرية عبد القادر فندوح نموذجاً

Semiotics and criticism of poetry in the Algerian critical blog Abdelkader Faddouh as a model

أ.د. خلف الله بن علي
benali.khalfallah@gmail.com
جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي تيسمسيلت

(الجزائر)

عازب أحمد تقي الدين*
ahmed.azeb@univ-tissemsilt.dz
جامعة أحمد بن يحيى الونشريسي تيسمسيلت
مخبر الدراسات النقدية والأدبية المعاصرة تيسمسيلت
(الجزائر)

تاريخ النشر: 2023/12/02

تاريخ القبول: 2023/09/15

تاريخ الاستلام: 2023/06/23

ملخص:

المنهج السيميائي من المناهج النصانية التي تشتغل على مقارنة الخطاب الأدبي بكل أطيافه ومدارسه بنياته المختلفة، وذلك من خلال الآليات الإجرائية التي جاء بها منظرو هذا المنهج، وفي هذه المقالة سنحاول التنقيب في جهود الناقد الجزائري عبد القادر فندوح مبيّنين كيفية استعانتة بهذا المنهج في تحليله للنصوص الشعرية، وكذا التعرف على أهم الإجراءات السيميائية التي اتخذها دليلاً له في عملية القراءة النصية، مركزين على تحليله لقصيدة جزائرية قديمة للشاعر الرستمي بكر بن جماد التيهري.

الكلمات المفتاحية: المنهج، الخطاب الشعري، النقد السيميائي، المربع السيميائي، المقارنة.

Abstract:

The semiotic approach is one of the textual approaches that work on approaching literary discourse in all its spectrums and studying its various structures, through the procedural mechanisms that the theorists of this approach came up with, and in this article we will try to explore the efforts of the Algerian critic Abdelkader Faddouh, showing how he used this approach in his analysis of poetic texts. , as well as identifying the most important semiotic procedures that he took as a guide for him in the process of textual reading, focusing on his analysis of an old Algerian poem by the Al-Rustami poet Bakr bin Jamad Al-Tiherti.

key words : Method, poetic discourse, semiotic criticism, semiotic square, approach.

* المؤلف المرسل

1-مقدمة:

تجاوز النقد الأدبي في العصر الحديث مفهومه المحدود؛ ذلك المفهوم الذي حصره الأقدمون في التميز بين رديء الأدب أو جيده، ليصل إلى تفسير العمل الأدبي وتحليله وتقويمه وفق نهجية علمية واضحة ومقاييس نقدية مؤسسة، ويتفق كل الدارسين على أنّ الحركة النقدية العربية عموماً وفي الجزائر خصوصاً استطاعت بفعل ثلة من النقاد النهوض بالنقدي العربي وإماداه بمجموعة من المساهمات النوعية في مجال القراءة النصية.

كما أن النقد فن وعلم يلفت المبدع إلى مواضع السقط ليتجنبها، ومواضع القوة فيأخذ بها غيره، فهو صانع الحضارات الأدبية، وموجه المبدعين إلى ما يصقل مواهبهم، وقد ارتبط النقد بالإبداع ارتباطاً وثيقاً، وإذ بدا أنه؛ لأن النقد يبدأ مباشرة بعد ولادة النص الإبداعي، وقد تطور النقد في بلادنا وقد كان ذلك من خلال التحولات التي مست فضاء الإبداع في مجال الأدب، فجعلت النقد أيضاً يخرج من عباءته الكلاسيكية منطلقاً إلى مساحات أوسع وأرحب، خاصة ونحن نعلم ما للدراسات النقدية من أهمية في تقييم وتقويم الأعمال الإبداعية لتنهض بمستواها، إلا أن النقد المعاصر تجاوز التقويم والتقييم، والشرح والتفسير والحكم التي اهتم بها الناقد التقليدي ليضطلع بمهمة القراءة والتحليل والتأويل، وهذا ديدن الخطاب النقدي النسقي الغربي والعربي وفي بلادنا معاً.

والملاحظ أن الخطاب النقدي النسقي بشكل عام والسيمائي على الخصوص في مدونتنا النقدية قد نحا منحاً تطورياً، فتنوعت الدراسات والأبحاث النقدية في مجال مقارنة النصوص الأدبية بالمنهج السيميائي وفي بحثنا هذا سنحاول الوقوف على ذلك من خلال مدرسة المنجز النقدي السيميائي لدى الناقد الجزائري عبد القادر فدوح والذي استهل جهوده النقدية السيميائية مع مطلع تسعينيات القرن الماضي بكتابه "دلالية النص الأدبي دراسة سيميائية للشعر الجزائري" حيث سنعمد إلى تحديد أهم الإجراءات التي وظفها الناقد في تحليله للنص الشعري في هذا المصنف، وهل استطاع أن يطبق آليات المنهج السيميائي الإجرائية على وحدات النص المختار بطريقة صحيحة أم هناك بعض التقصير في ذلك، مستندين في هذه الدراسة على جملة من الآراء النقدية لطائفة من النقاد.

2-تحول الخطاب النقدي في الجزائر إلى التصانيع:

انتقل النقد الجزائري المعاصر نقلة نوعية وذلك منذ مطلع ثمانينيات القرن الماضي، بعدما وجد أنّ المفاهيم النقدية والمناهج السياقية قد أصبحت مكرورة الآليات والتحليل والنتائج ولا يوجد جديد فيها، ليوأكب ما عرفه النقد المعاصر من تطور في الساحة النقدية الغربية والعربية، حيث نشطت الحركة النقدية بجلب النظريات والمناهج النقدية من الغرب ثم ترجمة جملة من المؤلفات الغربية التي تحوي المناهج النقدية النسقية، فتأثر النقد النسقي الجزائري بهذه الحركة في الوطن العربي، وقد كان للنقد النسقي العربي أثره البالغ على نظيره الجزائري¹.

وقد عرف النقد الجزائري حركة وتطور في طرائق النقد وآلياته ومناهجه منذ مطلع ثمانينيات القرن الماضي -كما أسلفنا الإشارة- وهو ما جعل الناقد الجزائري يبحث له عن هوية وسط هذا التنوع والرخم النقدي العالمي، فاحتك نقادنا بالمدارس الحديثة ينهلون منها المعارف، ويدارسون التيارات النقدية المعاصرة، وهذا كلّه بغية تطوير تجاربهم وتجديد طرائقهم وآلياتهم الفكرية أو ما يعرف بمبدأ الخروج عن المألوف²، ثم إنّ نقادنا قد ركّزوا على هذه المناهج والنظريات الجديدة منذ ثمانينيات القرن الماضي محاولين فهمها ومدارستها، ومن ثم تطبيقها على النص الأدبي.

ويجمع العديد من الباحثين والدارسين على أنّ عبد المالك مرتاض وعبد الحميد بورايو هما أول من تبنّى هذه المعرفة النقدية في العديد من دراساتها التي اشتغلت على النص الأدبي، فإذا ركزنا على الناقد عبد المالك مرتاض نجده من الأوائل الذين ثاروا على المناهج التقليدية بداية ثمانينات القرن الماضي، كما يذهب بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأنّ التأريخ لظهور النقد الجديد في الجزائر يعود لسنة 1983، باعتبارها السنة التي ظهر فيها كتاب عبد المالك مرتاض "النص الأدبي من أي؟ وإلى أين؟" كون هذا المؤلف الأشمل مادة، والأعمق دراسة، والأكثر علمية، والأشدّ إغراءً للقارئ، إضافة إلى أنّ مادته أسبق من حيث الإبلاغ والاستقبال.³

وقد ساهم هذا الناقد وكان له الفضل الكبير في تأسيس لخطاب نقدي جزائري حديثي، وأكّد بشدّة على أنّ المدار في المنظور الحديث على الدراسة العمودية المنهج لا على الجمع وعلى الملاحظة الدقيقة... وتقوم الدراسة العمودية بتناول الإبداع الأدبي من عدّة مناحي، ولا سيما من حيث بنيته الإفرادية والتركيبية، ثم من حيث الزمان فيه، وكيفية التعامل الكاتب معه، ثم من حيث الحيز، ورسم الصور الفنية من خلال وضع هذه البنى، ثم أخيراً من حيث مستواه الصوتي.⁴

وقد تلت هذه الكتابات كتابات أخرى، كانت كلها تأسيساً للمناهج والنظريات الغربية في النقد الجزائري⁵، وتقصد الحداثيّة، وبالتالي نجد عبد المالك مرتاض وعلى الرغم من كل الاعتراضات والانتقادات التي واجهته إلا أنه يكفيه المساهمة في تخلص النقد الجزائري من رتابته وستاتيكيته وأدلجته وخروجه من السياق الذي ظلّ مقدّساً في العديد من الأبحاث والدراسات الجزائرية، إلى نقلة نوعية أخرى تسببها النسق في محاولة منه لمواكبة روح العصر ومعطياته، لي طرح مجموعة من الإشكالات حول هذا الموضوع، وسرعان ما يعطينا إجابات عن هذه الأسئلة فيقول: "ما موقفنا من الحداثة؟ وهل يجب أن نظلّ عمياناً صمّاناً عمّا يجري في التوادي الأدبيّة العالميّة من تطوّر في الرّؤية والمنهج لدى تناول نص أدبيّ ما؟ وهل المنهج التّراثي، من حيث هو تقنيّة عتيقة؛ يظلّ صالحاً أمام تقنيّات العصر المذهلة، والتي تتطوّر داخل نفسها باستمرار وسرعة معاً؟ وإذا الإجابة إيجاباً -فترضنا على الأقلّ- فلمّ يعنت المفكرون أنفسهم في التماس التجديد والتّحديث والتّطوير؟ هلّا اجتزأ الإنسان بما ورث عن أسلافه منذ القدم، وأراح نفسه من عناء البحث؟ وهل مثل هذا يقبله الإنسان العنود المتطلّع المتعطّش أبداً إلى التّطوّر والعيش الأمثل؟"⁶

أما الناقد الجزائري عبد الحميد بورايو فيعطي الأولوية للنسق على حساب السياق وذلك باعتباره من الأوائل الذين ثاروا على المناهج التقليدية، وممن اشتغلوا على العلوم الغربية في مجال النقد، حيث عمد إلى تجديد آليات ومناهج القراءة النصية من خلال استجلاب النظريات الغربية إلى ساحتنا النقدية، كما نجده قد نشر في وقت مبكر من حياته النقدية دراسة مميزة عن السائد النقدي آنذاك بعنوان (قراءة أولى في الأجساد المحمومة)، ووجه التميز فيها أنها محاولة بنوية تكوينية متقدمة، أنجز الناقد شطرها الأول بتناول البنية السردية (الأجساد المحمومة) لإسماعيل غموقات، وفقاً لرؤية وصفية تحليلية، لتأخذ هذه المحاولة شكلها المنهجي المتكامل نسبياً في كتابه (القصص الشعبي في منطقة بسكرة)⁷، والذي يعدّ أول محاولة أو تجربة بنوية في الخطاب النقدي الجزائري.

وقد تعرض الناقد للمناهج النقدية التقليدية بالنقد في كتابه (منطق السرد دراسة للقصة الجزائرية الحديثة)، حيث وسّمها بالجمود والاجترار والرتابة؛ داعياً إلى استبدالها بمناهج ونظريات تخدم قراءة النص في ذاته.

كذلك نجده قد استعرض الأصول العلمية للتحليل السيميائي السردى الذى انتهجه فى تحليل القصة الجزائرية، ورأى أن هذا النوع من التحليل يتسم بالشمولية المنهجية، وذلك باعتماده على اللسانيات والثقافة والابستمولوجيا⁸، وعلى غرار هذين الناقدى -باعتبارهما السباقى فى هذا المجال- نجد جملة من النقاد الذين ساهموا فعلى فى رسم معالم الدرس النقدى النسقى فى الجزائر، ونخص بالذكر كل من حسين خمري، السعيد بوطاجين، رشيد بن مالك وغيرهم.

3-لمحة عامة عن النقد السيميائي فى الجزائر:

عمد مجموعة من النقاد الجزائريين إلى تبني المنهج السيميائي كآلية لمقاربة النصوص الأدبية، فهو نشاط معرفي لا يرتبط بممارسة نصية بعينها كتحليل الخطاب السردى، وإنما يقدم هذا المنهج نفسه باعتباره نموذجاً تحليلياً يشمل كل الوقائع الدالة التى تتمخض عنها الممارسة الإنسانية فى مختلف مجالات نشاطها كالخطابات السردية، ومضات إشهارية، إيماءات جسدية⁹. وقد تحدت الأسماء النقدية الجزائرية التى تبنت السيميائية كمنهج لمقاربة النصوص، ومن بين أهم النقاد الذين اهتموا اهتماماً بلياً بنقل النقد الجزائرى إلى العالمية، وكان لهم الفضل الأول فى إرساء قواعد هذه النظرية فى المدونة النقدية الجزائرية نجد "عبد الحميد بورابو"، من خلال محاولته إدخال النظريات الغربية إلى ساحتنا النقدية وبخاصة السيميائية، وذلك عن طريق تلك الدروس التى دأب على تقديمها بمدرجات الجامعة منذ ثمانينيات القرن الماضى، أو من خلال تلك المقالات والمداخلات المنهجية المضبوطة التى ما فتئ يسهم بها فى الملتقيات والمناسبات العلمية، أم من خلال تلك المؤلفات المنشورة تبعاً منذ أواخر الثمانينيات¹⁰.

والمطلع على كتاب "منطق السرد (دراسات فى القصة الجزائرية الحديثة)" يجده قد أسهب فى الحديث عن الأصول المعرفية للسيميائية السردية ابتداءً من القرن التاسع عشر إلى الستينيات¹¹، ومن بين أهم أعمال الناقد التى تبني فيها هذا المنهج نجد كتاب "القصص الشعبى فى منطقة بسكرة- دراسة ميدانية" والذى صدر سنة 1986، أيضاً نجد كتاب "الحكاية الخرافى للمغرب العربى -دراسة تحليلية فى معنى المعنى لمجموعة من الحكايات" الصادر سنة 1992، وكتاب "منطق السرد" سنة 1994، وكتاب التحليل السيميائي للنصوص -دراسة لحكايات ألف ليلة وليلة وكليلا ودمنة، إضافة إلى المقالات المنشورة فى المجالات والمحاضرات فى الملتقيات، من ذلك دراسته لتحليل خطاب الحكاية الشعبى (مقاربة منهجية).

كما نجد ناقداً آخر فى مجال السيميائيات السردية له جهود قيمة لا من حيث تبني هذا المنهج فحسب، بل لدراسته المنهج على يد مؤسسيه الغربيين وكذلك جهوده فى ترجمة المؤلفات الغربية فى هذا المجال ونقصد هنا الدكتور "رشيد بن مالك"، والذى يعدّ الناقل الأول للسيميائية السردية الفرنسية إلى ساحتنا النقدية، وقد نهض بهذا المنهج نهضة نوعية، فى سنة. لقد بذل "بن مالك" مجهودات معتبرة فى هذا المجال، خاصة فى مجال الترجمة، ولعل أهم الكتب التى ترجمها كتاب "السيميائية مدرسة باريس" لجون كيلود كوكي¹²، وقد حاول أن يضفى خصوصية عربية على المحتوى والمصطلحات المترجمة كما لا يمكن أن ننسى -فى مجال السيميائية السردية- جهود الباحثين: سعيد بوطاجين، أحمد طالب، والطاهر رواينية وغيرهم.

أما إذا انتقلنا إلى تبني السيميائية كمنهج لتحليل الخطاب الشعري فالملاحظة العامة التى يمكن أن نستخلصها هى قلة الأعمال النقدية تطبيقاً فالإشكالية التى تعترضنا فى مجال الدراسات النقدية المعاصرة للخطاب

الشعري وهي نقص التطبيق للكثير من القضايا النقدية... فهناك طرح غني وثري على المستوى التنظيري، يقابله اختزال كبير وتعميم واضح على مستوى الإجراء¹³، وهو ما ينطبق حرفيا على النقاد العرب والجزائريين، كما يمكننا أن نحصي ثلاثة مؤلفين اتخذوا السيميائية إجراء في مقارباتهم للنصوص الشعرية في مقدمتهم الناقد والباحث "عبد المالك مرتاض" ثم يأتي بعد "عبد القادر فيدوح" ف"حسين خمري".

أما عبد المالك مرتاض فهو من رواد التحليل السيميائي للخطاب الشعري في الجزائر وذلك لما قام به من مقاربات نقدية على مختلف النصوص، فقد حلل شتى أنواع الشعر من القديم إلى الحديث، ومن العمودي إلى الحر، ومن الجزائري إلى العربي، وما يلاحظ على مرتاض هو كثافة إنتاجاته النقدية، ويعتبر من الأوائل الذين ثاروا على المقاربات السياقية -كما سبق وأشارنا- والمتصفح لكتبه يجده لا يترك مناسبة إلا وعرض برتابة المناهج القديمة، وأنها قاصر على استكناه أدبيّة النص الأدبي، أيضا لا تجده متعلق بمدرسة واحدة أو منهج واحد، بل يأخذ من هنا وهناك، وحبّته في ذلك أن جمعانية القراءة إخصاب للقراءة السيميائية، وإثراء منهجي لأدواتها... فالذات القارئة في جمعانية القراءة ذات متحررة، تورد النص مؤمنة بوجوب التوسع والتعمق، واستنطاق المقول واللامقول¹⁴.

أما عبد القادر فيدوح فقد سار على خطى مرتاض في استقراءه للنصوص الشعرية، حيث جعل من المنهج السيميائي أداة لدراسة الشعر وأهم ما أصدره هذا الناقد كتابين¹⁵ درس من خلالهما الشعر الجزائري قديمه وحديثه- دراسة سيميائية، كما استعان حسين خمري هو الآخر في مقارنته لبعض النصوص الشعرية بالسيميائية كإجراء.

وتأسيسا على ما سبق يمكننا القول بأن تبني الناقد الجزائري للمناهج الحديثة لم يكن وليد صدفة بل أوجده أسباب عدّة لعل أهمها افتتاحه على الثقافة الغربية والنهل من مجالاتها المعرفية، إضافة إلى توفر الجو العلمي والثقافي من جامعات وصحافة، ودور الثقافة. وفي ما يلي سنحاول استقراء المنجز النقدي السيميائي لدى عبد القادر فيدوح وبالتحديد في مقارنة النص الشعري.

4- المنجز النقدي السيميائي لدى فيدوح:

يعدّ عبد القادر فيدوح من أهم النقاد الجزائريين الذين طبّقوا المنهج السيميائي على النصوص الشعرية، ولعل أهم دراسة تلك الموسومة "دلالية النص الأدبي (دراسة سيميائية للشعر الجزائري)"، حيث عمد الناقد في هذا الجزء المُخصّص لتحليل قصيدة "نونية بكر بن حماد التيهري" على آليات سيميائية تقارب النص الشعري القديم بالاعتماد على تقنية التأويل، وذلك باعتبارها آلية إجرائية تطبيقية في التعامل مع النص تفكيكا وإعادة تركيب، وقد اشغل عبد القادر فيدوح على هذه المدونة وفق مجموعة من الآليات نذكر منها: التقابل، التشاكل، المربع السيميائي، البنية السطحية، وهذا ما سنحاول استقراءه فيما يلي:

4-1-آلية التقابل:

لقد اشغل الناقد على تقنية التقابل في المستوى التركيبي من القصيدة، وذلك «لرصد مجمل العلائق التضادية والتنافرية الموجودة في النص»¹⁶، هذا يعني أن النص الشعري مفعم بالألفاظ والجمل الضدية.

والتقابل في معناه الاصطلاحي هو «وجود لفظتين تحمل كل منهما عكس المعنى الذي تحمله اللفظة الثانية كقولنا الخير ضده أو يقابله الشر»¹⁷، كما قد وُزِعَ الناقد أنواع التقابل الدلالي في قصيدة بكر بن حماد إلى ثلاثة أنواع وهي كالآتي¹⁸:

أ/ تقابل الألفاظ:

وهو تقابل يحصل بين الألفاظ، حيث يأتي الناقد بمفردة وما يقابلها من المفردات المألوفة في التقابل على مستوى التركيب النحوي. وينطلق الناقد من تقابل الصفة، فنجد يقابل بين صفة الجاني (ابن ملجم) والمجني عليه (الإمام علي) (بشر / شيطان) فالأولى تدل على الإنسانية بينما الثانية على الشر. أيضاً تقابل الزمن في قوله / سوف، وقبل / دلالة على الزمن الماقبل والمابعد.

كذلك يظهر لنا تقابل ختامي والذي تمثله لفظتي (رضوان / وغضب) وهذا ما يشير إلى حيرة وموقف الشاعر بكر بن حماد حول مصير القاتل هل هو في الجحيم أو في الجنة، فالمصير هنا مرتبط بالمكان، فالناقد عمد إلى الاشتغال على سيميائية الزمان والمكان للخروج بالدلالة العميقة التي يلبسها النص.

ب/ تقابل الجمل:

الناقد بجملتي (من اتقى / ومن غوى) في البيتين الرابع عشر والخامس عشر، وهو تقابل على مستوى الفعل يتبعه تقابل على مستوى الرؤية وذلك يتعلق برؤية ابن حماد الذي يرى أن جزاء القاتل هو جهنم تقابله رؤية ابن حطّان الذي يرى أن جزاءه الرضى والرضوان من الله تعالى.

ياضربة من اتقى / بل ضربة من غوى

يبلغ من ذي العرش رضوانا / قد أتى الرحمن غضبانا

2-4- التشاكل: قراءته لآلية التشاكل:

لقد ركز الناقد عبد القادر فيدوح كثيراً على آلية التشاكل والتي تعدّ من أهم الآليات في المقاربة السيميائية لأنها تعمل على استكناه علامات كل النص، ثم أثناء التحليل يُقَطَّع الناقد النص إلى مجموعة من المقاطع مستعينا في ذلك بالتشاكل كآلية إجرائية والتي تعدّ «أول خطوة منهجية يستعين بها الناقد لاستخلاص الوحدات المعنوية في النص وخلق الدلالة»¹⁹، لكن الناقد يوظف مصطلح القرين كمترادف لمصطلح التشاكل، وذلك من خلال العلاقات الثنائية التي تتشكل عبر "القاصد والمقصود"²⁰.

ويراد بالقاصد "Sujet" هو كل من يستطيع القيام بالفعل، وكذلك الخضوع له، أما المقصود "Objet" فهو عامل يشكّل مع القاصد زوجاً توافقياً²¹، وهذا ما يوضحه الناقد في تحليله لهذا البيت:

قُلْ لَّابْنِ مَلْجَمِ وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ هَدَمْتُ وَبَيْتَكَ - لِلْإِسْلَامِ أَرْكَانًا

فالتشاكل في هذا البيت يتقاسمه طرفان أحدهما (الجاني) ابن ملجم والآخر (المجني عليه) الإمام علي، أما العماد في هذا البيت هو في قوله (هدمت) إذا التشاكل تمثل في عملية (الهدم) أي هذه العملية هي بؤرة ومركز البيت، ثم يعرض لنا الناقد أطراف أو محاور التشاكل كآلية يقوم عليها المنهج السيميائي فيما يلي²²:

مُعْتَدِي / مُعْتَدَى عَلَيْهِ

ابن ملجم / الإمام علي: الحصاد (هدمت) - التشاكل (الهدم)

المقصود / القاصد

وقد سيطر التشاكل على مساحة القصيدة وهو ما جعل الناقد يشتغل عليه في تحليل الأبيات ويمكننا أن نلخص ذلك فيما يلي²³:

أ/ تشاكل الألفاظ:

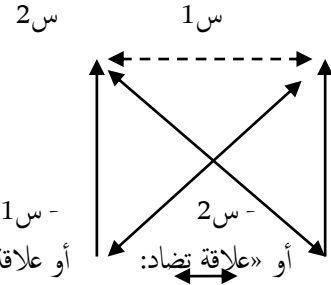
وهو ما أشار إليه الناقد فيدوح باعتباره لفظتين تحملان المعنى نفسه مثل مقولة (أفضل / أول)؛ التي تدلّ على الرفعة والمكانة التي حضي بها الإمام على عند الشاعر يُقابَلها مقولة (أشقى / أخسر) التي تشيرنا إلى الوضاعة والتدنّي وهي منزلة القاتل.

ب/ تشاكل الجمل:

ويكون هذا التشاكل عبارة عن جملتين تحيلان إما التفي أو الإثبات مثل جملة (لا عفى / لا سقا) والتي تدل على النفي و(ظلّ مجترما / ناله ظلما) فتدلّ على الإثبات.

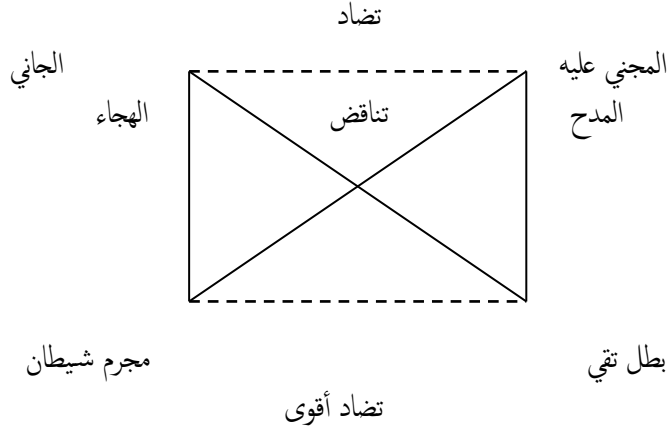
3-4-المربع السيميائي:

نال المربع السيميائي شهرة وقيمة كبرى في البحوث الألسنية والأعمال النقدية النسقية، ويحمل هذا الإجراء مجموعة خطوط تقف على متقابلات ناتجة عن قضايا يتضاد بعضها ويتناقض بعضها ويتضمن بعضها الآخر، وذلك كله بغية الخروج بمعنى كلي للخطاب الشعري أو للنص الأدبي المراد قراءته، ويعود هذا الإجراء إلى "غريماس" الذي أراد أن يصل من خلاله إلى قدر من المعاني اللانهائية، فالمربع السيميائي شكل من «التقديم العيني لمجموعة من التمفصلات المنطقية التي تُحِيل فيما بعد إلى وظيفة الوحدات الدلالية الموصوفة في بدايتها الأولى مثل العلاقة»²⁴، أي اختزال جميع المترابطات في معنى واحد. ومن هنا يتجلى المربع السيميائي ككل منظم من العلاقات يكون انبناؤها على هذا النحو:



أو «علاقة تضاد: 1 س - 2 س - أو علاقة تناقض: 1 س - 2 س - أو علاقة تضمين: 1 س - 2 س - محور فوق تضاد 1 س - 2 س - محور تحت تضاد، 1 س - 2 س -، صيغة موجبة، 2 س - 1 س -، صيغة سالبة، 1 س - 2 س -، إشارية موجبة، 2 س - 1 س - إشارة سالبة»²⁵.

انطلاقاً من هذا النموذج يقارب محمد مفتاح نونية بكر بن حماد من أجل مقابلة صفات القاصد (ابن الملجم) والمقصود (الإمام علي)²⁶. ثم إن ارتكاز الناقد على هذه التقابلات في التحليل يدلّ على أهمية هذا الإجراء في تحليل المتن الشعري، فالمربع السيميائي الذي وضعه الناقد تمثل فيما يلي:



نلاحظ من خلال هذا النموذج الذي وضعه الناقد أن المجني عليه في تناقض تام مع المجرم (شيطان) في حين أن البطل (تقي) في تناقض تام مع الجاني، كما أن المجني عليه في تضاد مع الجاني، والبطل تقي يتضاد مع المجرم (شيطان)، وما ملفوظ "أقوى" إلا للدلالة على شراسة القاتل وخبثه الشيطاني يقابله صفة نبيلة تميز بها البطل وهي (تقي)، ومن هنا يمكننا القول بأن «استعانة الناقد بالمرجع السيميائي ساهم بإعادة تمثيل معمارية المعنى في النص»²⁷، هذا يعني أن المرجع السيميائي هو خلاصة أو حوصلة ما يرمي إليه النص من معنى مضمّر، لأن هذا المربع هو عصارة ما أنتجته البنية السطحية للقصيدة ثم إن عبد القادر فيدوح ارتكز على البنية السطحية ليخرج بالثنائية الأم، وقد قسّم الناقد هذه البنية إلى قسمين²⁸:

القسم الأول تمثله "صفات الممدوح" (أول المسلمين والمؤمنين، أعلم الناس بالقرآن والسنة، صهر النبي ومكانته عنده بمنزلة الأخ، بطل متميز بالشجاعة في الحرب والعفو عند المقدرة)، "صفات القاتل" (شيطان وليس بشراً، أشقى وأخسر الناس يوم القيامة، أشبه بعافر ناقة ثمود، مصيره لظى يوم الآخرة)، ليخرج بالثنائية الأم وهي (بطل تقي / مجرم شيطان)، يقيم على منوالها مربعه السيميائي.

أيضاً نجد الناقد يدرس سيميائية الإيقاع وذلك لما له من وقع على نفسية المتلقي انطلاقاً من الإيقاع الخارجي، فيرى الناقد أن اختيار الشاعر لحرف النون رويًا لثقافته لم يأت صدفة بل يعود لأسباب قد يكون من أهمها الشحنة النغمية التي يفرزها هذا الحرف ووقعه في الأنفوس وقدرته على تحريك العواطف²⁹، أما البحر الذي نظمت عليه القصيدة هو البحر البسيط "مستفعلن، فاعلن، مستفعلن، فاعلن"، ويرد الناقد اختيار الشاعر لهذا البحر لتمكّنه منه، كما أن كل تغيرات هذا البحر وردت في القصيدة من ذلك؛ متفعلن، فاعل، فاعلن، فاعلن"، ويرجع

الناقد ذلك التنوع العروضي إلى تنوع العلاقات النصية في تشاكلها وتقابلها³⁰، ثم ينتقل فيدوح إلى الإيقاع الداخلي والذي يمثل جوهر العملية الإيقاعية بالنسبة للناقد من خلال التواشج الذي تمثله الحروف في تكرار نغماتها الصوتية الصغرى في نهاية صدر كل بين (بها، بما، رما، لها، بها، بها، له، له)³¹، ثم يربط الناقد دلالة هذه الحروف بالمعنى العام للنص والذي يجسده قتل الإمام علي، وحسب رأيي فإن الناقد أهمل دلالة حروف المد الجوفية والتي كان لها بعد وصدي كبيرين في النص، واكتفى بدراسة دلالة هذه الحروف من زاوية واحدة يمثلها الأثر الذي تركه في المتلقي، أيضا نجد الناقد يركز على بعض الشخصيات الفاعلة في النص وهو ما يسمى في المنهج السيميائي بـ"سيميائية الشخصيات"، لكن الناقد لا يدرجها من هذا القبيل وإنما يدرجها في خانة المعجم الشعري. كذلك ما يمكن استخلاصه أن تركيز الناقد على آلية التشاكل قد طغى على تحليله للخطاب الشعري، وهي من أهم الآليات التي اعتمدها النقاد والدارسون في مقارباته للنصوص الأدبية.

5-خاتمة:

وفي الأخير يمكننا أن نقّر بأن عبد القادر فيدوح من أوائل النقاد الذين تبنوا المناهج النقدية الحديثة؛ في الجزائر خاصة والوطن العربي عامة، خاصة من الجانب التطبيقي الذي عرف ندرة في الساحة النقدية العربية، إلا أن فيدوح وفق في هذا المجال رغم الإشكالات التي واجهته والتي تلخصت في مجملها في إشكالية المصطلح النقدي لكن هذا لم يمنع من اعتبارها من أوائل الدراسات المنظمة والمنهجية في تحليل الخطاب الشعري، ومن ذلك ما قام به الناقد في وضعه لجملة من الملفوظات تحت حقول دلالية خاصة بالمعنى، وكل ملفوظ وما يناسبه من حقول دلالية معين، حقول (أسماء الله الحسنى)، حقول (ألفاظ العذاب)، حقول (شخصيات من القرآن)³² كعاقرة الناقة، ثمود، موسى، عمران، فهذه الشخصيات كان يمكن للناقد أن يدرسها سيميائيا ويربطها بالسياق العام للنص، لكن هو خالف المنهج أو ربما درس القصيدة من الخلط المنهجي، فثارة يدرسها سيميائيا وثارة أخرى يدرسها وفق الإجراءات الأسلوبية أو ببنوية، أو مزاجته بين السيميائية والتأويلية كثيرا في دراسته هذه، وما يدل على كلامنا هذا أكثر نجد الناقد يدرس الصورة الشعرية كآلية رئيسية في مقارنة للقصيدة، وذلك من خلال استخراج الصور الشعرية الموجودة في القصيدة، والمتمثلة في التشبيه والاستعارة مثل: تشبيه الإمام علي بـ"ركن من أركان الإسلام، ليثا، سيفا صارما..." ثم سعيه إلى تأويل هذه الاستعارات بأنها تشير إلى القوة والتضحية والجسارة، وهي الصفات التي تمثل الإمام علي³³، وهنا الناقد أقرب إلى الدراسة السياقية البلاغية منها إلى السيميائية.

وعموما نجد أن الناقد قد وُفق إلى حد ما في تطبيق بعض آليات المنهج السيميائي، إلا أنه أهمل بعضها الآخر والمتمثل في سيميائية العنوان والشخصيات أو سيميائية الأسماء، واعتمد على آلية التأويل من أجل الوصول إلى المعنى العميق، وما يمكن استخلاصه في هذه الدراسة والتي وسماها بالسيميائية أن الناقد استعان بآليات وإجراءات مناهج نسقية مختلفة في تحليله للقصيدة بكر بن حماد، وجدناه ألسنيا ثم بنويا فأسلوبيا فالسيميائيا فمؤولا.

6-قائمة المراجع:

أ/ المراجع العربية:

1. حبيب مونسى، القراءة والحدائث (مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000.
2. سعيد بن كراد، مدخل إلى السيميائية، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، المغرب، 1994.

3. سعيد بنكراد، السيمائية السردية (مدخل نظري)، منشورات الزمن، الدار البيضاء، المغرب، 2001.
 4. شافيع عكاشة، نظرية الأدب في النقاد الجمالي والبنوي في الوطن العربي (نظرية الخلق اللغوي)، د.م.ج، الجزائر، ج.3، 1992.
 5. عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة دراسة ميدانية، المؤسسة الترفهية للكتاب، الجزائر، 1986م.
 6. عبد الحميد بورايو، منطلق السرد (دراسة في القصة الجزائرية الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.
 7. عبد القادر فيدو، دلالية النص الأدبي (دراسة سيمائية للشعر الجزائري)، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ط.1، 1994.
 8. عبد القادر فيدو، دلالية النص الأدبي (دراسة سيمائية للشعر الجزائري)، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ط.1، 1993.
 9. عبد المالك مرتاض، أ.ي. (دراسة سيمائية تفكيكية لقصيدة «أين ليلاي» لمحمد العيد)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
 10. فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط.1، 2010.
- ب/ المراجع الأجنبية:
11. *Algerardes Julièn Grimas et Joseph courtes, sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie les langages, boulevard Saint-Germain, Paris, 1979.*
- ج/ المراجع المترجمة:
12. جون كيلود كوكي، السيميائية مدرسة باريس، تر. رشيد بن مالك، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2003.
- ج/ المجلات والدوريات:
13. أحمد نصيف الجنابي، ظاهرة التبادل في علم الدلالة، مجلة آداب المستنصرية، العدد العاشر، 1989.
 14. بشير محمودي، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، مجلة الوقف الأدبي، ع.404، السنة الرابعة، كانون الأول، دمشق، سوريا، 2004.
 15. جميل حمداوي، المعايير السيميائية لتقطيع النصوص والخطابات، صحيفة المثقف، العدد3875، الخميس 2022/12/22.
 16. عز الدين المخزومي، الواقع النقدي الجزائري الجديد بين هاجس التبعية المدرسية وروح الانقلاط والتأصيل، مجلة اللغة والاتصال، جامعة وهران، الجزائر، ع.01، رمضان 1426هـ- أكتوبر 2005م.
 17. نبيلة تاويرت، سيمياء الصورة الشعرية في القصائد السياسية لنزار قباني، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 17، جوان 2014.
- د/ الرسائل الجامعية:
18. أحمد شريط، النص النقدي الجزائري من الانطباعية إلى التفكيكية، جامعة عنابة، معهد اللغة والأدب العربي، 1994.
 19. قادة عتاق، السيميائية السردية وتجلياتها في النقد المغاربي المعاصر (نظرية غريماس نموذجاً)، مخطوط دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2003/2002.
 20. ميساء مضر، اللغة في الأسطورة بين التأويل والتحليل (مقاربة سيميائية للنصوص الأوغارتية)، مخطوط ماجستير، جامعة تشرين، اللاذقية، 2009/2008.

الهوامش:

- 1- ينظر: عز الدين المخزومي، الواقع النقدي الجزائري الجديد بين هاجس التبعية المدرسية وروح الانقلاط والتأصيل، مجلة اللغة والاتصال، جامعة وهران، الجزائر، ع.01، رمضان 1426هـ- أكتوبر 2005م، ص.25.
- 2- ينظر: المرجع نفسه، ص.25-26.
- 3- ينظر: أحمد شريط، النص النقدي الجزائري من الانطباعية إلى التفكيكية، جامعة عنابة، معهد اللغة والأدب العربي، 1994، ص.18.

- 4- ينظر: شايف عكاشة، نظرية الأدب في النقد الجمالي والبنيوي في الوطن العربي (نظرية الخلق اللغوي)، د.م.ج. الجزائر، ج.3، 1992، ص.105.
- 5- ينظر: المرجع نفسه، ص.ص.105-106.
- 6- عبد المالك مرتاض، أ. ي. (دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة «أين ليلاي» لمحمد العيد)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص.17.
- 7- ينظر: عبد الحميد بورايو، القصص الشعبي في منطقة بسكرة دراسة ميدانية، المؤسسة الترفيهية للكتاب، الجزائر، 1986م، ص.67.
- 8- قادة عقاق، السيميائية السردية وتجلياتها في النقد المغاربي المعاصر (نظرية غريماس نموذجاً)، مخطوط دكتوراه، جامعة سيدي بلعباس، 2003/2002، ص.305.
- 9- ينظر: سعيد بن كراد، مدخل إلى السيميائية، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، المغرب، 1994، ص.08.
- 10- قادة عقاق، السيميائية السردية وتجلياتها في النقد المغاربي المعاصر، ص.303.
- 11- ينظر: عبد الحميد بورايو، منطق السرد (دراسة في القصة الجزائرية الحديثة)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص من 18 إلى 68.
- 12- ينظر: جون كيلود كوكي، السيميائية مدرسة باريس، تر. رشيد بن مالك، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، 2003، ص.124.
- 13- بشير محمودي، التحليل السيميائي للخطاب الشعري، مجلة الوقف الأدبي، ع.404، السنة الرابعة، كانون الأول، دمشق، سوريا، 2004، ص.34.
- 14- ينظر: حبيب موسى، القراءة والحداثة (مقاربة الكائن والممكن في القراءة العربية)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2000، ص.241.
- 15- ينظر: عبد القادر فيدوح، دلالات النص الأدبي (دراسة سيميائية للشعر الجزائري)، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الجزائر، ط.1، 1994، ص.202.
- 16- عبد القادر فيدوح، دلالات النص الأدبي (دراسة سيميائية للشعر الجزائري)، ص.45.
- 17- أحمد نصيف الجنابي، ظاهرة التقابل في علم الدلالة، مجلة آداب المستنصرية، العدد العاشر، 1989، ص.13.
- 18- ينظر: عبد القادر فيدوح، دلالات النص الأدبي، ص.48-49.
- 19- جميل حمداوي، المعايير السيميائية لتقطيع النصوص والخطابات، صحيفة المثقف، العدد 3875، الخميس 2022/12/22، www.almothaqaf.com.
- 20- ينظر: ميساء مضر، اللغة في الأسطورة بين التأويل والتحليل (مقاربة سيميائية للنصوص الأوغارية)، مخطوط ماجستير، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية، 2009/2008، ص.57.
- 21- ينظر: المرجع نفسه، ص.57.
- 22- ينظر: عبد القادر فيدوح، دلالات النص الأدبي، ص.35.
- 23- ينظر: المرجع نفسه، ص.47.
- 24 -Algerardes Julièn Grimas et Joseph courtes, sémiotique dictionnaire raisonné de la théorie les langages, boulevard Saint-Germain, Paris, 1979, P.29.
- 25-Ibid, P.30.
- 26- ينظر: عبد القادر فيدوح، دلالات النص الأدبي، ص.44.
- 27- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط.1، 2010، ص.233.
- 28- عبد القادر فيدوح، دلالات النص الأدبي، ص.43.
- 29- عبد القادر فيدوح، دلالات النص الأدبي، ص.55.
- 30- المرجع نفسه، ص.55.

- 31- ينظر: المرجع نفسه، ص.56.
- 32- ينظر: عبد القادر فيدوح، دلالية النص الأدبي، ص.45.
- 33- ينظر: نبيلة تاويرت، سيمياء الصورة الشعرية في القصائد السياسية لنزار قباني، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 17، جوان 2014، ص.178.